



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضل الصحابة رضي الله عنهم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 102]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿۝﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: 70, 71]... أما بعدُ ، فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ ثُمَّ أَمَا بَعْدُ :

عباد الله: إن الله جل جلاله اختار فيما اختار رجالاً صالحين لصحبة محمد عليه الصلاة والسلام، اختارهم وهو جل وعلا يختار ما يختار لفضل منه جل وعلا ولحكمة ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: 68]. و صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدرسة عظيمة تربي عليها الناس فيما بعد، تربي عليها التابعون إذ رأوا أفعالهم وأخذوا أقوالهم وتدارسوها، وتربي عليها العلماء والصالحون فيما بعدهم حيث نظروا في أقوالهم وأخذوها دروساً وجعلوا يتدبرون ويتأملون فيها وليس من عجب أن كان ذلك كذلك، لأنهم الصحب الذين رضي الله عنهم ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَيَّعُواكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: 18].

وقال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: 8] وكان منهم المهاجرون وكان منهم الأنصار، والأنصار كانوا أنصاراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم نصرته دينة لما تخلت عنه عليه الصلاة والسلام قريش وتخلت عنه القبائل فيما حول مكة، فأقبلوا على دين الله ونصروه بألسنتهم ونصروه بأعمالهم ونصروه بسيوفهم وأرواحهم. فرضي الله عنهم أجمعين كفاء ما بذلوا وكفاء ما عملوا وكفاء ما أدوا لهذه الأمة ونقلوا دين الله إلى الناس أجمعين.

ولقد كان من هؤلاء من وصفه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه حكيم هذه الأمة فيما روي عنه عليه الصلاة والسلام من وجه مرسل فقال عليه الصلاة والسلام: ((حكيم هذه الأمة أبو الدرداء)).

وأبو الدرداء هذا صحابيٌّ من الأنصار، حزرجي، هو عويمر بن زيد بن قيس، وقيل: عويمر ابن عامر، كان عبداً صالحاً، وكان سيِّداً من سادات القراء، لم يجمع من الصحابة القرآن كاملاً على عهده عليه الصلاة والسلام إلا نفر قلائل كان منهم أبو الدرداء رضي الله عنه وأرضاه، أسلم أبو الدرداء رضي الله عنه، أسلم يوم بدر بالمدينة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً والمشاهد بعدها.

ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حاله يوم أحد، حاله في دفاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم لما تفرق عنه الناس قال: ((نعم الفارس عويمر)) ، وكان أبو الدرداء بيتاً للحكمة وبيتاً للعلم، بهذا ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضاء دمشق وتوفي رضي الله عنه بدمشق في آخر خلافة عثمان، كان له أصحاب، وكان يعظ الناس بكلامه لكي يتأثر الناس، وكان يعظ الناس بعمله، بعمل صادق، فجمع في الوعظ وجمع في الهداية بين العمل والخوف، تأثر الناس بعمله وتأثر الناس بقوله.

أبو الدرداء رضي الله عنه كان ذا حكمة غريبة بليغة، ولهذا كان ابن عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: حدثونا عن العاقلين قالوا: يا ابن عمر ومن العاقلان؟ قال معاذ وأبو الدرداء.

معاذ كان في شأنه في الإسلام وفي علمه بالحلال والحرام ما تعلمون، وأما أبو الدرداء فأقواله وأحاديثه في التربية وفي إصلاح النفس واجتماع كثر في كتب أهل العلم وتأخذ منها شيئاً ليكون دليلاً على غيره، لعلنا نتعظ كما تعظ أصحابه رضي الله عنهم.

حدثونا عن العاقلين معاذ وأبو الدرداء، أبو الدرداء رضي الله عنه كان من أقواله أن قال: (اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبهم فلا تبغضوهم)، وهذه وصية للأمة جميعاً.

لأن أشرف ما في هذه الأمة العلم وأي علم، العلم بالله جل جلاله، العلم بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

لأن هذا هو العلم الذي أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه، قال جل وعلا لنبيه: ﴿وقل رب زدني علماً﴾ [طه:114].

قال العلماء: لم يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوه بالازدياد من شيء إلا من العلم، وأهل العلم مرفوعون درجات ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة:11] لهذا أبو الدرداء رضي الله عنه قال: (اطلبوا العلم فإن عجزتم) لأن الناس ليسوا على حدٍّ سواء في أن يكونوا طلبة علم ومقبلين على العلم قال: (فأحبوا أهله) لأن محبة أهل العلم تجعل الحب مع من يحب تجعله يسأله ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم ويكون ذا صلة بهم والمرء يحشر مع من أحب يوم القيامة.

إن لم تحصل المحبة، قال: إن لم تحبهم فلا تبغضوهم لأن بغض أهل العلم بغضٌ لصفوة المؤمنين، لأن الله جل وعلا أمرنا بمحبة المؤمنين جميعاً قال جل وعلا: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة:71]. يعني بعضهم يحب بعضاً وينصر

بعضه، وأولى أهل الإيمان بالحبّة أكثرهم خشية وأكثرهم علماً، لهذا قال: فإن لم تحبهم فلا تبغضوهم وأي جناية أيها المؤمن تجنيها على نفسك إذا أبغضت أهل العلم، وكيف يكون بغضهم، يكون بأشياء: إما بمسبتهم وإما بنقدهم وإما بأن تكون وقاعاً فيهم، تارة بحق وتارة بباطل.

أهل العلم ليسوا كاملين معصومين لكن إن رأيت فيهم نقصاً فإشاعة النقص في الناس يعني أن لا يأخذ الناس من أهل العلم، فإن ترك الناس أهل العلم لا يأخذون منهم، فمعنى ذلك الجناية على أهل الشريعة، فممن يأخذ الناس الشريعة إن لم يأخذوها من أهل العلم؟ لهذا جاءت وصية أبي الدرداء عويمر بن عامر رضي الله عنه ويقول لك: (اطلبوا العلم فإن عجزتم فأحبوا أهله، فإن لم تحبهم فلا تبغضوهم)، ليبقى في القلب إجلال أهل العلم الذين ملء صدورهم كتاب الله، والعلم بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً من أقوال أبي الدرداء أنه قال لأصحابه يوماً: (إني لأمركم بالخير وما كل ما أمرتكم به فعلته ولكني أرجو الأجر بأمركم). وهذا من الفقه العظيم في دين الله وليس من قبيل أنه يأمر ولا يفعل، الذي ذم، ولكن العبد المؤمن يجمع في امتثاله للشرع بين امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وهو عليه أن يأمر بالخير وعليه أن يمتثل بالخير، فإن فاته أحدهما فلا يجوز له أن يفوت الآخر. لهذا قال الإمام مالك رحمه الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة قال رحمه الله: ما كل ما نأمركم به نفعله، ولو تركنا الأمر لأجل عدم الفعل ما أمرناكم إلا بالقليل. هل معنى ذلك أنهم يتركون الأمر إلى محرم؟ لا، ولكن أهل العلم وأهل الاجتهاد عندهم من معرفة الأحكام ما يرتبون فيه المصالح ويجعلون الحسنات درجات. وليس كذلك كل من أمر بمعروف أو نهي عن منكر. لهذا قال أبو الدرداء: (إني لأمركم بالخير، وليس كل ما أمرتكم به فعلته ولكني أرجو الخير بما أمرتكم به). يعني أنه يأمر بمستحبات، يأمر بأشياء من الخير يفعلونها وليس كل ما أمرهم به فعله لأنه منشغل عنه بما هو أهم منه في حقه وأما في حقهم فليس الأمر كذلك، بل لا بد أن يكونوا مأمورين بهذا. وإذا أتته الفرصة وكان في فراغ من أمره فإنه يرغب في المستحب وفي غير المستحب يعني في الواجب ودرجاته كما قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٨٠﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨١﴾﴾ [الشرح: 7-8]. يعني بأنواع الواجبات والمستحبات.

بعض الناس لا ينتبهون لهذه المقالة ولهذا الأصل الشرعي، فإذا كان على شيء من الخطأ قال: أنا لا آمر بالخير لأني لا أمتثله ولا أنهي عن المنكر لأني ربما فعلته، وهذا غلط على الشريعة لأنه يجب عليك أن تأمر وتمتثل، فإن فاتك الامتثال فلا يفتك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلا بد أن تمتثل هذا وتجتنب هذا، فهذا واجب، وهذا واجب، وإذا فاتك أحد الواجبين فلا يجوز أن تفوت الآخر.

ومن أقوال أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال لأصحابه مرة: (استعيذوا بالله من خشوع النفاق قالوا: يا أبا الدرداء وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع). وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أول ما يسلب من هذه الأمة الخشوع فترى الناس يصلون في المساجد لا تكاد تجد فيهم رجلاً خاشعاً)).

استعيذوا بالله من خشوع النفاق. لماذا قال أبو الدرداء: استعيذوا بالله من خشوع النفاق؟. ليقرّ في قلوبنا أن لا نجعل ذلك أمراً مسلماً مرضياً به.

كثيرون من يكون في قلوبهم عدم الخشوع، ويكون خشوعهم خشوع بدن، وهو يعلم أن قلبه ينازعه إلى أنواع من الكبائر والمنكرات وينازعه إلى أنواع من ترك الواجبات ثم يقول له أبو الدرداء: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، يعني: إذا كنت على هذه الحال فلا ترض من نفسك بهذه الحال بل استعد بالله، والتجئ إليه واعتصم به ولذ به وأقبل عليه، لكي يزيل ما في قلبك من خشوع النفاق وهو أن يكون القلب غير خاشع، ترى الناس يصلون، ولكن الخاشع منهم قليل، كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعبدون العبادات وربما كان من بعدهم أكثر منهم تعبدًا ولكن كانوا يتعبدون بقلوب خاشعة أما كثير من الناس فيتعبدون بأجسامهم.

لهذا لما قيل للحسن البصري رضي الله عنه: هؤلاء التابعون أكثر عبادة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف كان الصحابة أرفع منهم منزلة؟

قال الحسن: كان الصحابة يتعبدون والآخرة في قلوبهم، وأما هؤلاء فيتعبدون والدنيا في قلوبهم، وشتان ما بين هذا وهذا. هذا ما قيل عن التابعين فماذا يقال عنا نسأل الله سبحانه وتعالى الرحمة.

اللهم إنا نعوذ بك من خشوع أهل النفاق، اللهم اجعل خشوعنا خشوع أهل الإيمان ظاهراً وباطناً يا كريم يا متعال.

ومن أقوال أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال رحمه الله ورضي عنه وقد مر على رجل عمل ذنباً وحوله أناسٌ يسبونونه رجلٌ عمل ذنباً وعلم بذنبه أناس فمر عليهم أبو الدرداء وهم يسبونونه فقال لهم أبو الدرداء وهو البصير بعلاج البعيد عن الدين وعلاج أهل العصيان وعلاج أهل القلوب المريضة، فقال لهم: رأيتم لو وجدتموه في قاع قليب ألم تكونوا مخرجيه منها؟ قالوا: بلى. قال: فاحمدوا الله الذي عافاكم ولا تسبوا أحاكم، احمداوا الله الذي عافاكم ولا تسبوا أحاكم.

لكن انظر إلى تمثيله بأن أهل الإيمان إذا وجدوا رجلاً قد وقع في ذنب فإنهم لا يتركونه، بل مثله بمن كان في قليب لا يجد من ينجيه منها، في قاع قليب. فماذا يفعل أهل الإيمان مع أخ لهم قد وقع في مهلكة؟ أيسبونونه ويقولون: لم تدخل هذا القليب ولم تجعل نفسك هكذا وهكذا إلى آخره؟ لا. بل يسعون في نجاته ويحرصون على ذلك.

أيضاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من قال هلك الناس فهو أهلكهم)) يعني كان بمقاله ذلك سبباً في هلاكهم.

اللهم إنا نسألك أن تبصرنا بديننا وأن تجعلنا من أتباع أصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم اللهم نعوذ بك من الغفلة ونسألك أن تجعلنا من أهل التذكر والتفكير، اللهم اجعل الآخرة في قلوبنا ونعوذ بك أن تكون الدنيا في قلوبنا، اللهم اجعلها في أيدينا وأخرجها من قلوبنا، اللهم استعملنا فيما تحب وترضى، ونعوذ بك مما تسخط وتأبى يا كريم، نعوذ بك من الخزي في الدنيا ومن العذاب في الآخرة، واسمعوا قول الله عز وجل، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿والعصر ﴿١﴾ إن الإنسان لفي خسر ﴿٢﴾ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية: الحمد لله على فضله وإحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً.

هذا وأعلموا أيها المسلمون: أن الله سبحانه وتعالى أمرنا بالصلاة والسلام على نبينا محمد، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في كتابه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب آية 56]... اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وسلاماً دائماً متلاًزماً إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل آية 90]، ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت آية 45].